الدليل الحسي على انها مستديرة نوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج
عن كونه سقفا وكذلك على جبال ومن الادلة الحسية ان السما لو كانت مستوية
لكان ارتفاع اول النهار ووسطه واخره مستويا وليس كذلك وذكر غير ذلك
من الادلة وفي هذا كفاية ولما ذكرها فعل العقلا من كونها على نظام محرر
لا يختل وسير مقدر لا يعوج ولا يختل جمعها جمعهم بقوله تعالى يسبحون وقال
المسبحون قوله تعالى يسبحون يدل على انها احيا لان ذلك لا يطلق الا على
العاقل قال الرازي ان اراد والقدر الذي يكون منها التسبيح فنقول
به لان كل شي يسبح بحمده وان اراد واشيا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال
لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون الا تاكلون ولما ذكر
سبحانه ما حد لحدود في السباحة في وجه الفلك ذكر ما هيا به من
الفلك للسباحة على وجه الما بقوله تعالى وآية لهم اي على قدرتنا التامة
انا اي على ما لنا من العظمة حملنا ذريتهم اي اباهم الاصول قال البغوي
واسم الذرية يقع على الاباء كما يقع على الاولاد والالف واللام في قوله تعالى
في الفلك للتعريف اي فلك نوح وهو مذكور في قوله تعالى واصنع
الفلك باعيننا وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى المشحون
اي الموقر المملو حيوانا وزادا وهو يتقلب في تلك المياه التي لم ير احد قط
مثلها ولا يرى ايضا ومع ذلك فسلمها الله تعالى والادمي يرسب في الما وبغرق
فحمله في الفلك وقع بقدرته تعالى لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف
لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الثقال التي
ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين
ان الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون الفلك المعين
الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان
الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم
الى يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقي للادمي نسل ولا عقب
وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اي لم تكن النعمة
مقتصرة عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول الزمخشري
قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين
كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا
لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له
وفيه جواهر فيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية
الجنس اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية

تطلق

٢٠٥

تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النسا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل
الذراري اي النسا لان المراة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من
جنسه ونوعه يقال ذراريا اي امثالنا ثالثها ان الضمير في قوله تعالى وآية
لهم عايد على العباد حيث قال يا حسرة على العباد وقال بعد ذلك وآية
لهم الارض وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا
فكانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير
في الموضعين اشخاصا معينين كقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم ويذيق بعضكم
باس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال فقال هولا القوم هم
قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون عايدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا
معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى آية لهم اي آية لكل
بعض منهم انا حملنا ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد
جنس الفلك قال ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم
ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى
في سفينة نوح وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويويده قوله
تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى وآية لهم الارض وآية لهم
الليل ولم يقل وآية لهم الفلك اجيب بان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس
الفلك فليس بعجيب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب
ونفس الليل عجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله تعالى فان قيل قال تعالى وحملنا
ولم يقل وحملنا ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة
اجيب بانه تعالى لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر
والبحر واما الحمل في البحر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من
يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا وقرا نافع وابن عامر
بالف بعد اليا التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون بغير الف وفتح
الفوقانية الافراد واختلف في تفسير قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله
اي مثل الفلك ما يركبون فقال ابن عباس يعني الابل فالابل في البر كالسفن
في البحر وقيل اراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على
مثالها وقال قتادة والضحاك وغيرهما اراد به السفن الصغار التي
تجري في الانهار كالفلك الكبار في البحار وان نشا اي لاجل ما لنا من القوة
الشاملة والقدرة التامة نغرقهم اي مع ان هذا الما الذي يركبونه ليس
كالما الذي حملنا فيه اباهم فلا صريخ لهم اي مغيث ليبخبهم مما يريدهم
من الغرق او فلا اغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم اي بانفسهم
من غير صريخ ينقذون اي يكون لهم انقاذ اي خلاص لانفسهم او غيرها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1